الفصل الرابع
علاقة الفولكلور بالتنمية فى مجال الأزياء

يعرف "Smelser" التنمية بأنه التحول من مجتمع يعتمد على الأساليب البسيطة التقليدية ، إلى استخدام المعرفة العملية بواسطة التكنولوجيا .

وتسعى معظم البلاد النامية فى العالم جاهدة إلى رفع مستوى معيشتها وزيادة الإنتاج القومى بها. وقد ساهم الأنثروبولوجيون فى مختلف أنحاء العالم من خلال ما قاموا به من دراسات لخدمة التنمية. باعتبار أن عملية التنمية عملية شاملة ومتكاملة ولب تلك العملية تحويل البلاد التقليدية الاستاتيكية إلى أمم دينامية حديثة. وقد استطاع بعض الأنثروبولوجيون بالفعل التوصل إلى بعض النماذج التنموية، كتلك التى قدمها ليدز "Leeds" وآدامز "Adams" وكانت مشاركتهما الرئيسية واضحة فى العملية التطبيقية وتنفيذ مشروعات التنموية على المستوى المحلى. وقد طرحوا السؤال الآتى :

هل هناك علاقة بين التراث والتنمية ؟ وكانت الإجابة نعم هناك علاقة قوية. فالتراث بعناصره المختلفة له صلة وثيقة بالتنمية سواء من حيث المفهوم أو من حيث المضمون والأهداف والبرامج المنفذة، والمشاركة فيها والاستفادة منها وقد استخلص أن الهدف من التنمية هو الإنسان فى المجتمع بقطاعاته المختلفة ، وفئاته العمرية المتنوعة ، ولذا لابد من استيعاب هذا الهدف ورسم الخطط بطريقة تشمل الإنسان أينما كانت إقامته فى المجتمع وحسب ظروفه وبيئته وخلفيته الاجتماعية وثقافته التراثية.

أما من حيث البرامج المنفذة والمشاركة فيها والاستفادة منها، فهى تجسيد للجانب التنفيذى والفعلى لعملية التنمية وهى متعددة المجالات (مأكل - مسكن - ملبس). كما ينبغى أن يشارك هؤلاء الأفراد فى تنفيذ تلك البرامج ويستفيدون منها، بمعنى أنه لابد من معرفة العادات السائدة، والمعتقدات الكامنة فى أذهان الأفراد، والطرق والأدوات التقليدية التى يستخدمونها، وأنماط العلاقات الاجتماعية السائدة فيما بينهم. ومن ناحية أخرى ينبغى الوقوف على المخزون التراثى الذى يقع فى حوزتهم واستغلاله وتوظيفه بطريقة إيجابية لتحقيق أقصى استفادة ممكنة من هذه البرامج.

وكان من أهم الاستنتاجات التأكيد على أهمية التراث كطرف أساسى وهام لا يمكن تجاهله فى أى برنامج أو خطة تنموية، فإذا لم يكن المجتمع بكل أبعاده تلك مقتنعا ومستقبلا لبرامج التنمية ومشاركا فيها ومستقبلا لنتائجها . فإن خطة التنمية قد تتحول إلى نوع من العبث، مهما وفرت لها الإمكانيات المتاحة سياسيا واقتصاديا وفنيا. وقد تطرقوا إلى سؤال آخر هل هناك تأثير متبادل بين التنمية والتراث؟ وهل يعد التراث معوقا للتنمية أم دافعاً.

نعم هناك تأثير متبادل بين التنمية والتراث وكلا يؤثر فى الآخر ويمكن القول أن التنمية تؤثر فى التراث وتحدث تغيرات كبيرة فيه، ويظهر واضحاً فى تغير المكونات المادية التقليدية للمجتمعات فعلى سبيل المثال أدوات العمل الزراعى التى كان يستخدمها الفلاح وبعض الصناعات التقليدية، ونمط المسكن، وأدوات الطعام، والملبس. كل هذه الجوانب تغيرت بتغير الثقافات والعادات فى كل المجتمعات العربية. ولذا يعد الأفراد أكثر استعدادا لتقبل هذه التغيرات المادية لأنها تلبى احتياجاتهم (الملبسية - الغذائية) بأقل جهد ممكن وبأسرع وقت متاح، وبعبارة أخرى هذه المتغيرات التكنولوجية المادية، تحقق للأفراد المزيد من الوظائف النفعية.

وتوضح الشواهد الواقعية تأثر المجتمع المصرى بالتنمية، وبتغير فى أنماط

السلوك والعادات والتقاليد المرتبطة بالملبس. فقد تخلص كثير من القرويين من ارتداء ملابسهم التقليدية وارتدوا الملابس العادية.

أما بالنسبة لتأثير التراث الشعبى فى التنمية فإن الهدف الحقيقى لبرامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمعات النامية هو إحداث تغيير فى اتجاهات الناس وإلى ضرورة إنشاء علاقات جديدة بين الناس وبين الموارد الاقتصادية ، بإدخال الوسائل التكنولوجية الحديثة فى الإنتاج وما يتبع ذلك من تغيير لأساليب الإنتاج ومفاهيم الثروة والإدخار والاستهلاك. وذلك بإدخال مفاهيم جديدة فى ميدان السلوك والعادات والخبرات التقليدية.

أما الإجابة على سؤال: هل التراث الشعبى معوقا للتنمية أم دافعاً لها؟ الإجابة التراث الشعبى دافعاً للتنمية والدليل على ذلك توظيف واستثمار وتنفيذ برامج التنمية فى مجالات شتى (التربوية - الأمية - الصحية - الصناعات التقليدية). وترى الدراسة أن خير مثال على تلك التنمية ما اتجهت إليه بعض الدول النامية والدول العربية خاصة فى استثمار الصناعات التقليدية مثل تونس والمغرب التى تقوم الآن بصناعة الحلى التقليدى من الفضة وبإنتاج كبير، كما تقوم بصناعة الملابس التقليدية (كالحصارة) والجبة والجلاب المطرز بالخيوط الذهبية والفضية، وغطاء الرأس (الشاشية) وتصدرها إلى دول الخليج والدول الأوروبية، هذا بجانب قيامها بمعارض دولية فى كافة أنحاء العالم. وربما يرجع ذلك إلى قناعة دول المغرب العربى بأن الصناعات التقليدية تدخل فى صميم قضية التنمية الاقتصادية. فالعاملين فى قطاع الصناعات التقليدية أكثر من ١٢٠.٠٠٠ عامل فى تونس وأكثر من ٦٠٠.٠٠٠ عامل فى المغرب.

كما تعتبر دولة الإمارات العربية من أولى دول الخليج التى تصدر الجلاليب المعروفة لديهم والتى تسمى (الأثواب المخورة) إلى باقى دول الخليج وعلى نطاق كبير. أما المملكة العربية السعودية فتقوم بإنتاج وتصدير العباءات النسائية والشيلة (غطاء الرأس) والكويت من أولى دول الخليج التى تصدر العباءات (البشوت) الرجالى .

أما الدول غير العربية التى تعتبر تجربتها رائدة فى توظيف الفولكلور الشعبى دولة رومانيا التى اهتمت بالاستفادة من الفولكلور فى تنمية الصناعات التقليدية . فقد قام فريق من علماء الفولكلور بتوظيف الفولكلور الشعبى فى مجال تنمية الصناعات التقليدية حيث قاموا بإعداد أطالس أثنوجرافية للمأثورات الاجتماعية والمادية وأوضحوا كيفية الاستفادة منها فى الصناعات الصغيرة، وقام فريق آخر بجمع كل ما يتعلق بالعادات والتقاليد الاجتماعية، وخصوصا ما يرتبط بالاحتفالات والمواسم الشعبية. وبعد ذلك قاموا بتقسيم الدولة الرومانية إلى مناطق ثقافية متباينة، وذلك لاختلاف التميز البيئى للأشكال الإنتاجية والإبداعية والمادية والتعبيرية من منطقة إلى أخرى. وقد بلغ عدد المناطق الثقافية ٥٧ منطقة. وذلك من خلال الأدلة التى قسمت إلى خمسة أجزاء مصنفة تصنيفا نوعيا. وكل جزء منها يتضمن عددا من الأدلة الفرعية المتخصصة فى الظواهر المختلفة الشعبية. فهناك أدلة خاصة بمجالات (الفنون التشكيلية) العمارة، الأزياء، أدوات الزراعة والرى، الصناعات التقليدية، التمائم، كأشغال النسيج والتطريز، الفخار والخزف، الزجاج، الأخشاب.

وكان من نتائج توظيف الفولكلور الشعبى الرومانى فى التنمية ما يلي:

* تصنيع المنتجات الشعبية وانتشار الصبية المدربين على تلك الحرف.
* انتشار المجلات التى تقدم التراث الشعبى بالوسائل المعاصرة كالأسطوانات الموسيقية والكتب .
* تقديم البث الإعلامى الهادف - المتاحف الأثنوجرافية - المعارض - المسابقات - الاهتمام بالمناسبات الشعبية والأعياد القومية وأشكال التعبير فى كل منطقة (لكل منطقة خصوصية وأصول عرقية) .
* إقامة المسرح الشعبى والذى أخذ طريقه نحو الانتشار .
* عمل منتجات فنية مختلفة ومتنوعة من أشغال الجلود والتطريز، والأخشاب والمعادن وأشغال الأحجار الطبيعية والنقش والزخرفة والخزف والحلى.

أما فيما يخص الأزياء التقليدية فإنهم يقومون بتصنيع الملابس فى بيوتهم، وهذا هو العرف السائد لديهم، لذلك نجد أن كل أسرة تمتلك أدوات وآلات الغزل والنول والصباغة اللازمة لإنتاج القماش، وأيضا لعمل الوحدات الزخرفية بها وتتعدد أشكال الأنوال تبعا لنوعية القماش المطلوب ثم يقومون بتجميع الأزياء التقليدية وبيعها إلى الجمعيات المختصة لتسويقها داخل البلاد وخارجها.

وحيث أن مصر تزخر بمخزون تراكمى كبير من الفولكلور عبر العصور والحضارات المصرية المتعاقبة - كما سبق أن أوضحنا - فإنه يمكن استخلاص العديد من الجوانب الفلولكلورية ذات الصلة بالأزياء والزخارف المصرية عبر العصور وتطويرها وتقديمها فى ثوب جديد يحمل فى طياته أصالة الماضى وحداثة العصر، والاستفادة من ذلك فى تطوير صناعة الملابس وتقديم أشكال جديدة منها مستوحاة من الفولكلور المصرى الذى يتسم بخصائص تميزه عن غيره فى البلاد الأخرى، وسوف يساعد ذلك بالطبع فى مجال تطوير صناعة الملابس بصفة خاصة وفى مجال التنمية بصفة عامة. وذلك عن طريق توظيف الأزياء التاريخية والشعبية فى صناعة الملابس باعتبارها منبع خصب ومصدر إلهام لمصممى الأزياء لإنتاج صناعة مبتكرة تتفق مع البيئة المصرية وتحقق من خلالها تواصل الأجيال وذلك عن طريق التخطيط المنظم والمرتب تنظيماً وفق معايير ميدانية ومنهجية معلنة وواضحة. كبعد تخطيطى لمستقبل تلك الصناعة حتى يمكن توظيفها من النواحى الثقافية والاقتصادية والفنية والتعليمية، وبأحسن الوسائل العلمية وبأفضل الأساليب الجمالية للذوق المصرى ثم العالم الخارجى فيما بعد وذلك عن طريق:

- عمل تخطيط شامل وتوفير الإمكانات المالية اللازمة لتنمية صناعة الملابس التى تعتمد على التراث المصرى الأصيل وتطويره.
- دراسة الأصول الإنتاجية الأولية ومعرفتها والاهتمام بالكشف عن مدى قابلية هذه الصناعة للمعايشة مع أدوات العصر من حيث الميكنة الحديثة، الخامات المستخدمة، الأساليب المتطورة.

- دراسة المقومات الفيزيقية فى البيئة ومواردها الطبيعية وإمكانياتها البشرية القادرة على تفهم الأساليب الإنتاجية المتطورة الحديثة تبع ظروف كل محافظة من محافظات مصر.

- تشجيع الأسر المنتجة على تقديم منتجات سياحية من ملابس وتذكارات سياحية مطرزة (تاريخية ، شعبية).

كما يمكن توظيف الفولكلور المصرى فى مجال الأزياء عن طريق الكليات المتخصصة يقوم بها الباحثين والدارسين عن طريق إعداد أطلس مرجعى للزخارف الشعبية يوضح فيه:

- تصنيف تاريخى يبرز تطور الزخارف الشعبية وجذورها وتحولاتها عبر الزمن.

- تصنيف تقنى يقوم على توضيح العلاقة بين الخامة والأداة.

- تصنيف إقليمى يوضح المميزات الخاصة بزخارف كل إقليم عن باقى الأقاليم.

- تصنيف للرموز والمسميات الدالة على العمق الثقافى الكامن وراء المأثورات الشعبية. فهذا الأطلس يعين الدارس فى مجال الأزياء على أدق التفصيلات التى تميز الزى بمفهوم المكان والزمان، و ذلك لأنه ليس من السهل التعرف على الزى ملاحظة مباشرة إلا فى صورة علاقات تكميلية مكملة لبعضها البعض، وأيضا كعلاقات تشكيلية ووظائفية.

- إقامة معارض دولية ومحلية يعرض فيها الأزياء المصرية بصورة معاصرة نابعة من حضاراتنا المختلفة وتصميماتنا التاريخية والشعبية.

- إحياء التراث الملبسى المصرى من خلال محاور يقوم فيها الباحثون بوضع التراث الملبسى فى شكل علمى وتطبيقى مدروس من خلال المؤتمرات والمحافل الدولية.

- إعداد البرامج الإعلامية التى تتناول عناصر التراث الشعبى ومنها(التراث الملبسي) لإشراف علمى ودراسة متأنية تقوم على الانتقاء والإبداع والوعى بمدلولات العناصر التى سيتم تناولها . وعندئذ يكون من الممكن أن نقدم من

خلال وسائل الإعلام كل ما يتعلق بالتراث الملبسى من تصميمات - زخارف - - خامات - أساليب زخرفة بحيث تكون هذه المادة منبعاً خصباً يستلهم منه الأدباء والفنانون أعمالا أدبية أو موضوعات تدخل ضمن أعمالهم الأدبية والفنية.

- تقديم برامج تلفزيونية معدة إعداداً علمياً جيداً، عن الأزياء المصرية (التاريخية - الشعبية) يراعى فيها الجوانب الجمالية ومراحل إنتاجها، ودوائر انتشارها، ومناسبات استخدامها فتكون هى الأخرى منبعا يستلهم منه الفنانون التشكيليون أعمالا لموضوعاتهم وإنتاجهم الفنى.

- تدريس مادة الفولكلور كمادة أساسية فى الجامعات والمعاهد وفق أسس أكاديمية مدروسة وإدراكهم كيفية توظيفه فى عمليات الإنماء الاجتماعية والثقافية.

- تقديم تصميمات حديثة تجمع بين الأصالة والمعاصرة من خلال الاستعانة بالمراجع التاريخية المصورة أو الدراسات السابقة للأزياء (بكلية الاقتصاد المنزلى - قسم الملابس والنسيج) وأيضا من خلال استخدام أساليب الزخرفة التقليدية . أسلوب التلى - الخياميةأ التطريز مع مراعاة استخدام أساليب التقنيات الحديثة من (خامات - أدوات - خامات مساعدة) فى إنتاج ملابس معاصرة تلائم الفتاة الجامعية والمرأة العاملة من حيث الاحتشام والذوق المصرى وملائمة ظروف العمل باستخدام تصميمات وخامات (أقمشة) مصممة بزخارف فرعونية - قبطية - إسلامية - شعبية لعلنا نصل يوما إلى زى تقليدى يميز الشخصية المصرية نابع من روح حضارتنا الخالدة. الجدول رقم (٢)

- إنتاج عرائس (دمي) من بقايا الأقمشة فى شكل عرائس مرتدية ملابس فرعونية - إسلامية - شعبية وبيعها للسائحين فى الفنادق وأماكن ارتياد السواح.

- تدريس مادة الفولكلور المصرى بصورة مبسطة وشيقة فى مراحل التعليم المختلفة (الدراسات الاجتماعية) للتأكيد على الهوية الثقافية والشخصية المصرية من خلال ملابسنا التقليدية.

- ضرورة تحفيز الباحثين إلى إجراء المزيد من الدراسات التاريخية والمقارنة فى

الأزياء لمزيد من البحث والاستقصاء حول ثبات أو تحول الأزياء التقليدية ، وأيضاً استكمال دراسة الأزياء الشعبية ومكملاتها لباقى محافظات مصر قبل أن تتوارى بعامل الزمن.

- تنظيم مهرجانات دولية للفولكلور وذلك فى إطار التعاون الدولى فى هذا المجال ويكون جزءا من هذا المهرجان خاص بالملابس التقليدية فى الوطن العربى.
- وأخيرًا لدينا رصيد ضخم من الثقافات المادية التى علينا أن ندعمها ونحييها لتصور قوميتنا وعاداتنا من خلال أزياءنا ومكملاتها.

للوحة رقم (١)

ملك فرعونى وخادمه وأحد جنوده لاحظ تشابه خطوط التصميم وربما يكون وجه الاختلاف فى الخامة (القماش وكثافة التطريز المضافة على ملابس الملك الفرعونى)

اللوحة رقم (٢)

ملكة فرعونية ووصيفتها لاحظ تشابه خطوط التصميم

ما عدا كثافة التطريز المضاف على زى الملكة

الشكل رقم (١)

امرأة ترتدى النقبة والكول الفرعونى

الشكل رقم (٢)

امرأة من شمال الدلتا ترتدى الجلباب الشعبى القرن الحالى

لاحظ تشابه خطوط التصميم بين الشكلين

(رقمى ١ ، ٢)

الشكل رقم (٣)

امرأة ترتدى السارى أو الثوب الفرعونى

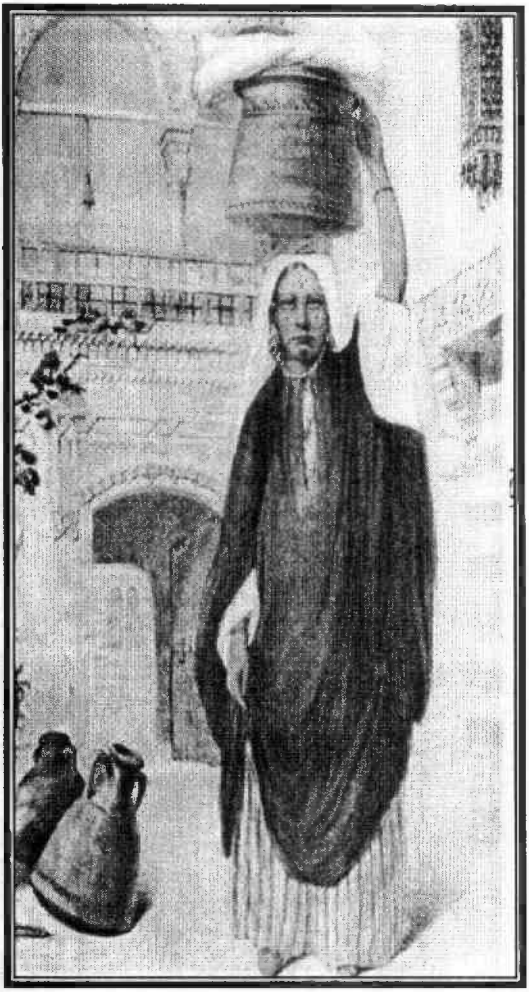

اللوحة رقم (٣)

امرأة من جنوب مصر ترتدى الجلباب الشعبى

لاحظ تشابه خطوط التصميم

بين الشكل رقم (٣) واللوحة رقم (٣)

الشكل رقم (٤)
يوضح امرأة شعبية ترتدى الملاءة اللف
المصنوعة من قماش الكريشة

الشكل رقم (٥)
امرأة مسنة ترتدى الملس الشعبى.

اللوحة رقم (٤)

تمثل من العصر اليونانى يمثل امرأة مرتدية الهيماتيون

اللوحة رقم (٥)

امرأة فى القرن الحالى ترتدى الملاءة اللف السكندرية

لاحظ التشابه بين طريقة ارتداء الهيماتيون

والملاءة اللف الشعبية السكندرية .

اللوحتين رقمى (٦ ، ٧)
زخارف فرعونية من الدولة
القديمة الوسطى

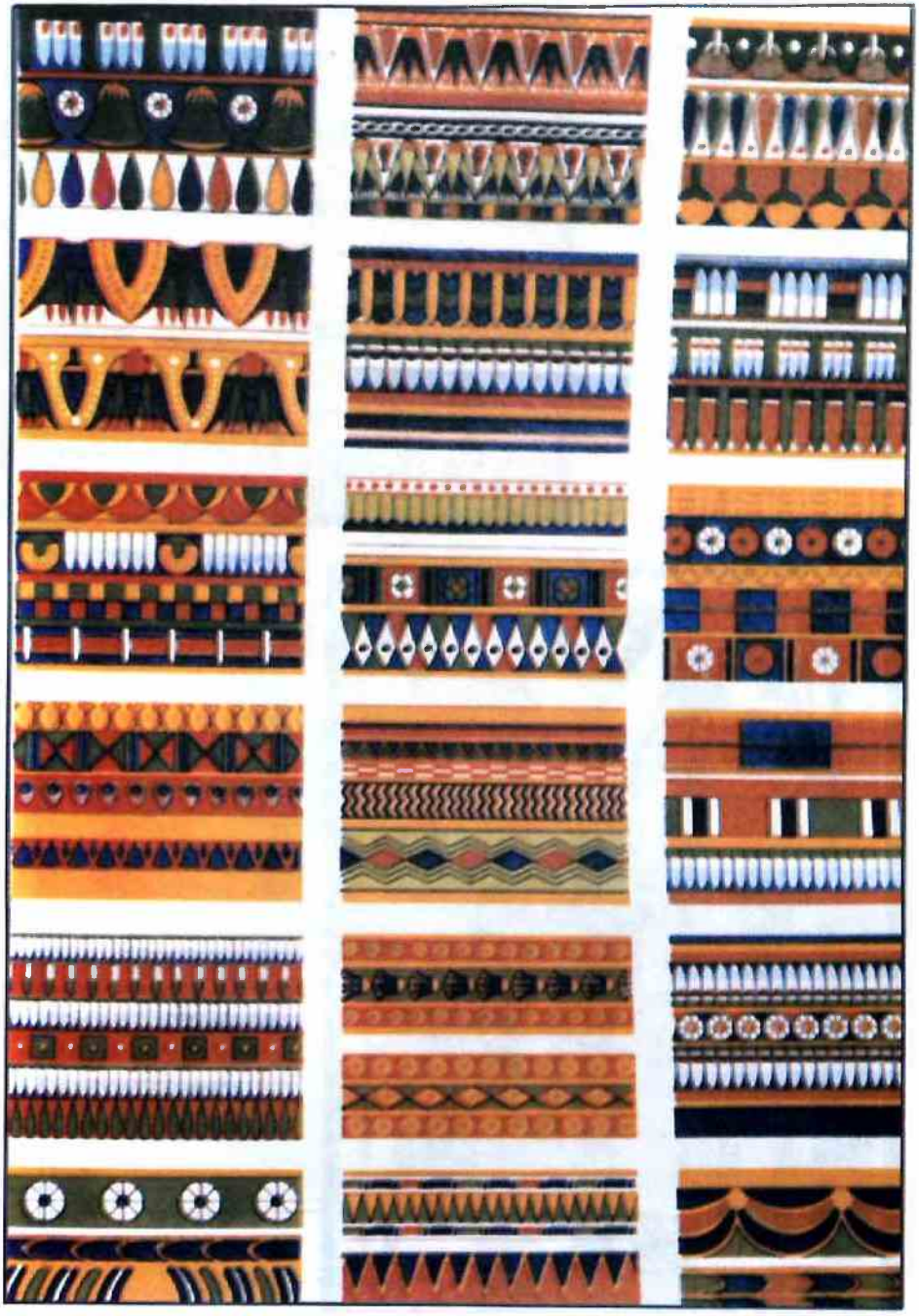

اللوحة رقم (٨)
زخارف من الدولة الحديثة

اللوحتين رقمي (١٠،٩)
زخرفة يونانية رومانية

اللوحة رقم (١١) قميص فرعونى (قميص توت عنخ آمون)

اللوحة رقم (١٢) قميص قبطي

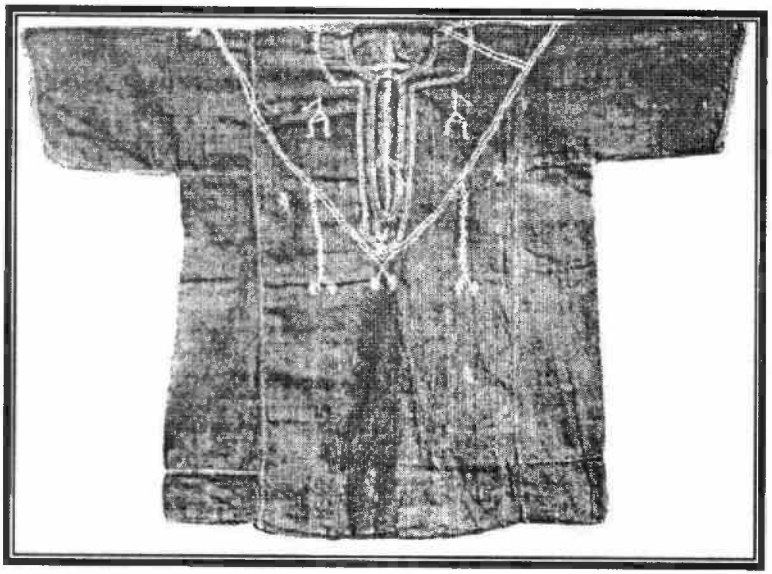

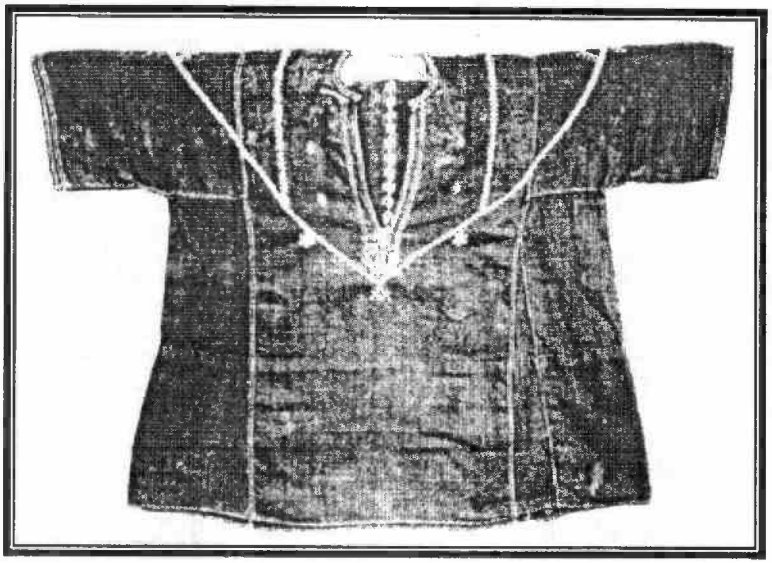

اللوحتين رقمى (١٢،١٤) قميصان من القرن الثامن عشر
وبهما زخارف شعبية ومطرزان بغرزة السلسلة والفرع

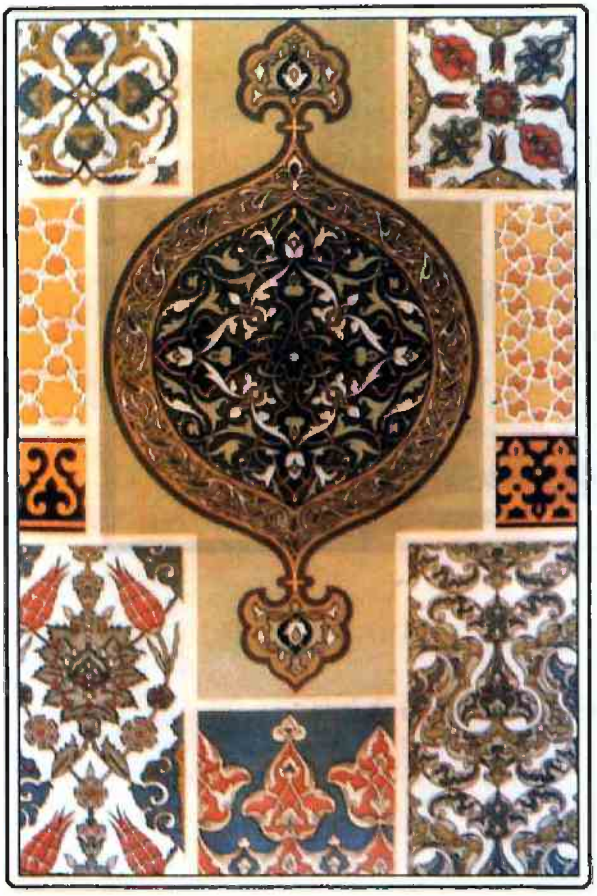

اللوحتين رقمى (١٥،١٦)
زخارف إسلامية

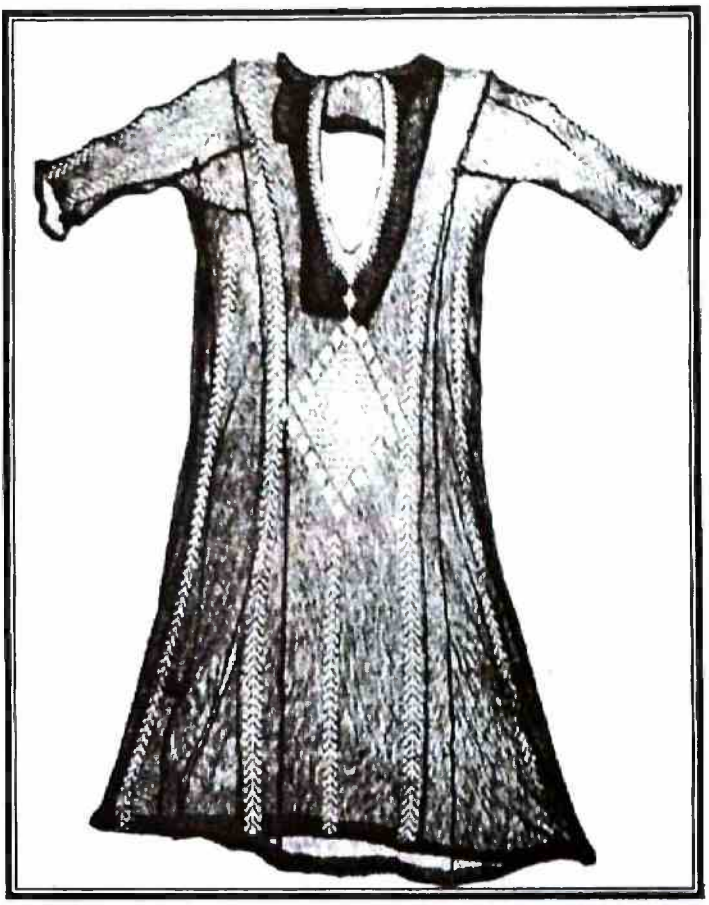

اللوحة رقم (١٧) ثوب من التلى (أسيوط)

اللوحة رقم (١٨) جلباب شعبى من (الأقصر)

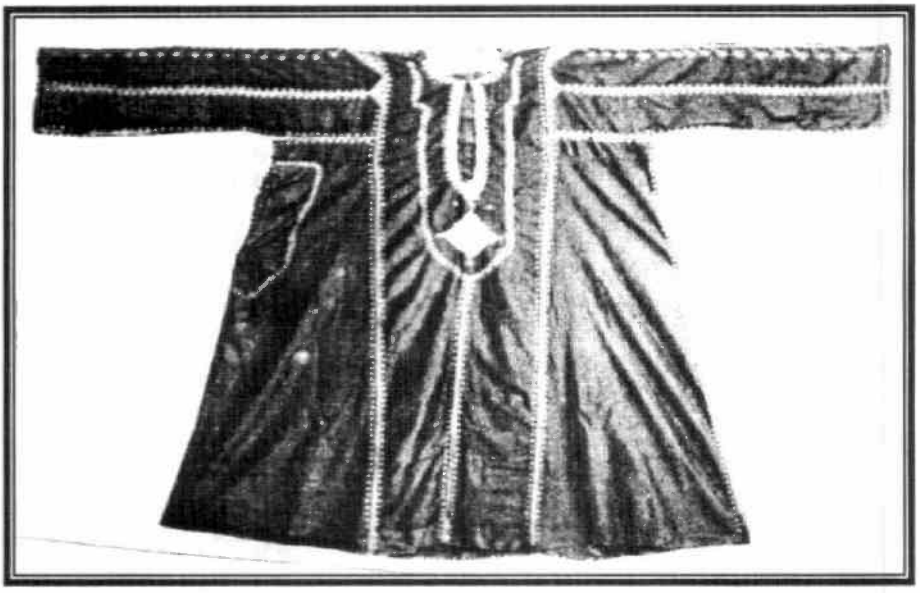

اللوحة رقم (١٩) جلباب شعبى من (عرب الشرقية)

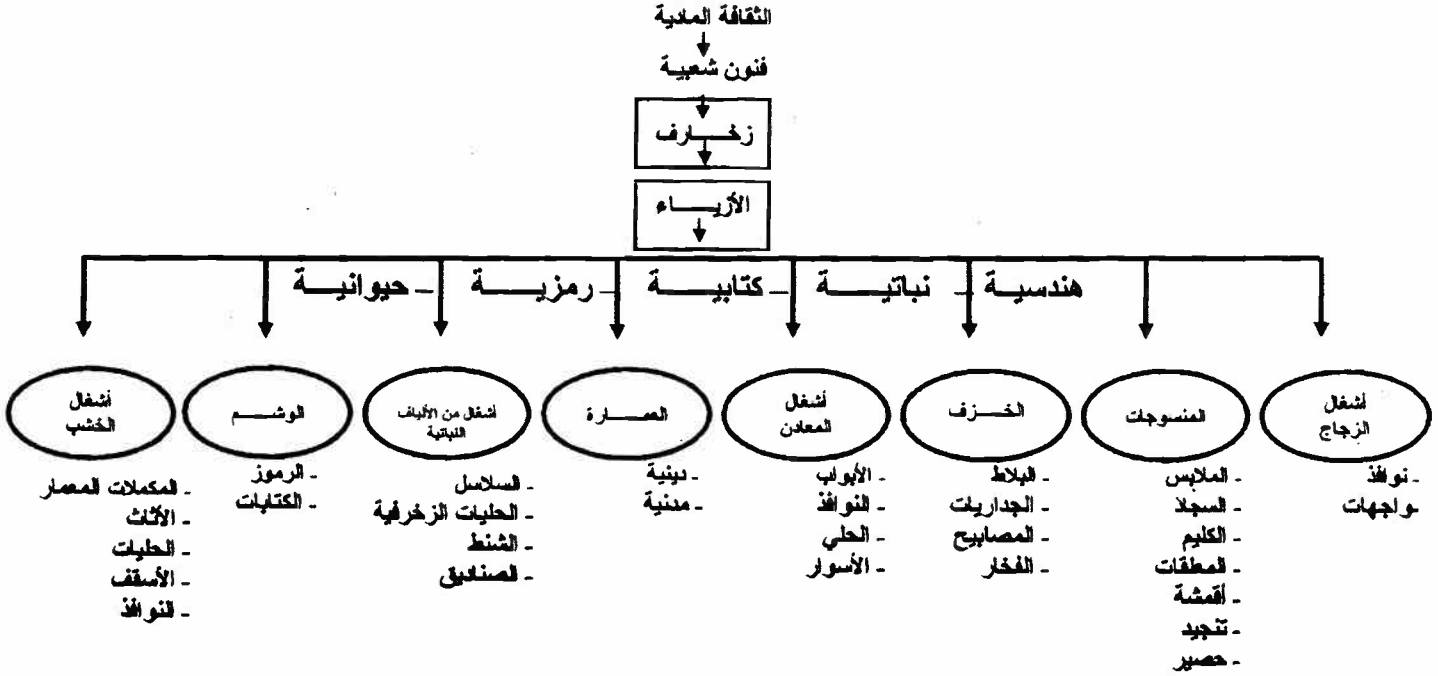

الجدول رقم (١)

تصنيف يوضح مدى ارتباط الفنون التشكيلية التقليدية بعضها ببعض

الجدول رقم (٢)

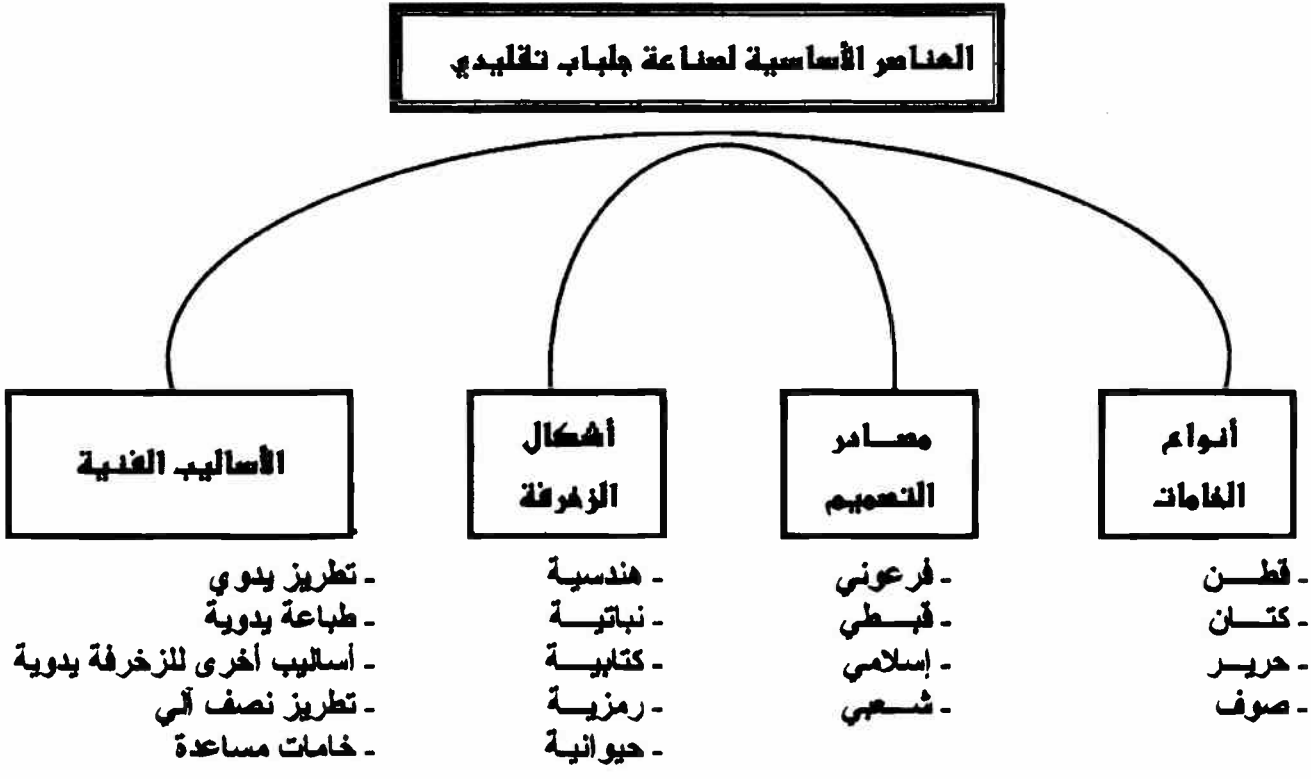
العناصر الأساسية لصناعة جلباب تقليدي
أنواع الخامات
- قطن
- كتان
- حرير
- صوف
مصادر التصميم
- فرعوني
- قبطي
- إسلامي
- شعبي
أشكال الزخرفة
- هندسية
- نباتية
- كتابية
- رمزية
- حيوانية
الأساليب الفنية
- تطريز يدوي
- طباعة يدوية
- أساليب أخرى للزخرفة يدوية
- تطريز نصف آلي
- خامات مساعدة